حروب الجيل السادس والصراع المعلوماتي

د. عمرو حسن فتوح



الملخص:

يناقش المقال مفهوم حروب الجيل السادس من منظور يربط الصراع المعلوماتي بالشائعات والتضليل والتأثير في الرأي العام، ويعرض تصورًا لتطور أجيال الحروب وأدواتها. ويتناول أدوار الشبكات الاجتماعية وسياسات ما بعد الحقيقة، ويقدم قراءات للمنافسة الدولية وأحداث جائحة كورونا ضمن تفسير المؤلف لهذه الصراعات. كما يركز على المنطقة العربية وأزمة مصداقية المعلومات، ويميز بين التضليل المقصود والمعلومات غير الموثوقة الناتجة من التسرع وضعف التحقق. ويقترح مواجهة الشائعات بفحص المصادر ومقارنة الأخبار وتوثيق الأرقام والاستعانة بالخبراء وتحليل التحيزات والامتناع عن نشر المجهول. ويؤكد أن ثقافة القارئ ومهاراته في التحليل المنطقي والتحقق تمثل عناصر أساسية للحد من آثار المعلومات الضارة والذعر وسوء الفهم داخل المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الصراع المعلوماتي، حروب الجيل السادس، التضليل المعلوماتي، الشائعات، مصداقية المعلومات

مقدمة:

ظهرت العديد من الاتفاقيات الدولية التي تقضي بنزع الرؤوس النووية والحد من التسليح، لتحقيق التوازن بين القوى المتناحرة؛ فكان على هذه الدول أن تفكر في أساليب بديلة تجعلها تلتزم بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية، وفي الوقت نفسه تحقق مطامعها الاقتصادية والسياسية، وكأنها تمتلك ملايين الرؤوس النووية والأسلحة الفتاكة، من خلال ما يُعرف بالصراع المعلوماتي أو حرب المعلومات (Information War)، وهي سمة حروب الجيل السادس المتطورة.

ذُكر هذا الجيل في الكتابات المنشورة بمسميات متعددة، منها الحرب الباردة، ثم الحروب غير المسلحة، وأحيانًا الحرب التكنولوجية، وتارة الحروب عن بعد (No-contact warfare)، وأيضًا حرب المعلومات أو الشائعات والحرب البيولوجية. والمصطلح الأكثر شيوعًا هو حروب الجيل السادس، وهي حروب لا تستخدم فيها الأسلحة والجنود، وإنما

تهدف إلى خلق تناقضات بين الدولة والمجتمع، باستغلال وسائل نشر المعلومات، وعلى رأسها الشبكات الاجتماعية، لبث المعلومات المغلوطة أو الزائفة (Misinformation)، بناءً على استراتيجية احتلال العقول أولًا ثم الأرض.

وصاحب ظهور هذا الجيل من الحروب مصطلحات عدة، منها الكتائب الإلكترونية والإرهاب الإلكتروني، التي تهدف إلى إحداث الفوضى وزعزعة استقرار الدول وأمنها لأغراض سياسية واقتصادية.

تطور أجيال الحروب:

بناءً على ما ورد في سلسلة دراسات المستقبل، التي تصدر عن مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة بدولة الإمارات العربية المتحدة، مرت الحروب بخمسة أجيال؛ تبدأ بالجيل الأول الذي استُخدمت فيه الأسلحة والجنود، وكان هدفه الأساسي تحقيق الانتصارات العسكرية. ثم الجيل الثاني، الذي كان بمثابة تطور للأسلحة؛ فظهرت الأسلحة الآلية والمدرعات الثقيلة، ولها هدف الجيل الأول نفسه.

أما حروب الجيل الثالث، فظهرت إبان الحرب العالمية الثانية على يد الألمان، حيث استُخدمت الطائرات المقاتلة ونظم الاتصالات اللاسلكية. ومنذ ذلك الحين أدركت القوى العالمية أن لا مجال للسلاح والجنود، وأن الأمر أصبح مكلفًا، فبدأ الاتجاه نحو استخدام المعلومات سلاحًا للتأثير في صانعي القرار ومتخذيه في الدول المعادية، من خلال المنصات الإعلامية لتحقيق مآربها. وهذا ما يسمى حروب الجيل الرابع أو الحرب الإعلامية (Media Warfare).

وقد اتخذت منصات التواصل الاجتماعي قاعدة لإطلاق قذائفها المعلوماتية السامة لتخريب العقول وزعزعة أمن الدول واستقرارها. ويحضرنا مثال تنظيم داعش بالعراق وسوريا والتنظيمات الإرهابية الأخرى؛ حيث استطاعت المعلومات المغرضة أن تؤثر في عقول هذه التنظيمات وتجعلها معصوبة العينين مغيبة الفكر. وهذا ما يسمى استراتيجية تدمير العقل البشري بالمعلومات.

وتتجلى معالم هذه الاستراتيجية في الأفعال التي ارتكبتها هذه التنظيمات بحق البشرية، من إزهاق أرواح آلاف البشر تحت شعار الدين. فكيف أقنعت هذه الاستراتيجية التنظيمات المتأسلمة بأن يحل للمسلم سفك دم أخيه المسلم تحت راية الإسلام، في حين نهى الإسلام عن ذلك في قوله تعالى: «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» [النساء: 93]. وفي موضع آخر: «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» [الفرقان: 68].

وجاءت حروب الجيل الخامس امتدادًا لسابقتها، حيث تستهدف المجتمع من خلال استغلال الثغرات الموجودة، وفرض الحصار، والسعي إلى إثارة السخط الشعبي نحوها، ويكون التحريض بنفس الأداة والهدف. وظهر في هذا الجيل استراتيجيات، منها الحروب السيبرانية (Cyberwarfare)، وهي بمثابة هجوم عن بعد، يعتمد على تدمير أنظمة الحاسوب وشبكات الاتصالات والمعلومات أو اختراقها للحصول على معلومات عسكرية أو استخباراتية للدول المعادية.

وأصبح هذا الجيل متعدد الأوجه؛ فهو يشمل التخريب الرقمي والحروب بالوكالة، وتدمير مرافق أساسية، منها البنى التحتية الحيوية مثل البنوك وخطوط الطيران ومحطات الكهرباء والسكك الحديدية والمنصات الفضائية وغيرها.

ما حروب الجيل السادس (GW6):

يقول فلاديمير سليبشينك، أول من أطلق هذا النوع من الحروب، في الكتابات الروسية، إن حروب الجيل السادس حرب عبثية معتمدة على دعم الإرهاب، وما سيأتي بعد ذلك سيكون أنظمة ذكية ومستحدثة تنتج جيلًا آخر. ويشير إلى أن حروب المعلومات أخطر من سابقتها، لأنها حروب تحاول تغيير الثقافات والعادات والتقاليد والتمرد على المجتمع والأنظمة السياسية، من خلال التلاعب الممنهج بالمعلومات الخاطئة.

ولم تتوقف الحرب المعلوماتية عند هذا الحد؛ بل طورت استراتيجياتها إلى طرح نوع جديد من الأكاذيب يُطلق عليه «سياسة ما بعد الحقيقة» (Post Truth Politics)، وهي الاستراتيجية التي تخاطب العواطف والمشاعر، وليس العقل، أي تثير الرأي العام من خلال طرح القضايا من منظور عاطفي، بغرض إضعاف القيادة السياسية أو عدم الرضا عن النظام في الدولة.

الصين وتجربة استثمار تكتيكات حروب الجيل السادس لإنقاذ اقتصادها:

يقول ميشيل في دراسة له عن إرهاب تنظيم القاعدة إن الحروب الدعائية ونشر الأكاذيب بغرض تهييج الشعوب وإضعاف القيادة من أبرز تكتيكات حروب الجيل السادس، التي أُطلق عليها استراتيجية التضليل المعلوماتي (Disinformation).

الجولة الأولى: صراع الحكومتين الصينية والأمريكية:

عندما أصبحت الصين أكبر قوة اقتصادية في العالم، وبدأت منتجاتها تغزو الأسواق الأوروبية والأمريكية، كان ذلك بمثابة ناقوس خطر للولايات المتحدة الأمريكية. وأرادت أن تضع حدًا لهذا الاقتصاد، فكانت أولى محاولاتها في مجال التكنولوجيا، وتحديدًا في مجال الهواتف الذكية، حيث مُنعت شركة جوجل الأمريكية من دعم هواتف هواوي الصينية. وهذا يعني أنه ما دام بإمكان مستخدمي هواتف هواوي حول العالم الوصول إلى خدمات جوجل، مثل جيميل وخرائط جوجل وجوجل بلاي وغيرها من الخدمات الأخرى، بدأت الحكومة الأمريكية إشاعة مغرضة تتهم شركة هواوي بالتجسس لصالح الحكومة الصينية، مما يشكل خطرًا على أمنها القومي.

ومن ثم وضعتها في القائمة التجارية السوداء. ولكن حقيقة الأمر ترتبط بثروة شركة هواوي الاقتصادية؛ فهي تُصنف ثاني أكبر شركة مصنعة للهواتف الذكية في العالم، وساهمت هذه الهواتف في زيادة أرباحها في عام 2019 إلى 850 مليار يوان، أي ما يعادل 121.73 مليار دولار، وبالتالي تعتبر قوة اقتصادية تؤثر في السوق العالمي، وتشكل تهديدًا اقتصاديًا للحكومة الأمريكية.

وبعد هذا القرار بدأت الحرب التجارية بين البلدين، وما زال الصراع قائمًا حتى الآن، ويمارس كل منهما ضغوطًا اقتصادية على الآخر، وكأنهما اتفقا على مبدأ الصراع للأقوى.

الجولة الثانية: سيناريو الحرب المعلوماتية والبيولوجية إبان جائحة كورونا «الصفعة الصينية»:

استخدمت الحكومة الصينية تكتيكًا اقتصاديًا لخداع دول الاتحاد الأوروبي، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث أرادت التخلص من هؤلاء المستثمرين على أراضيها. فقد كانت معظم الأسهم والحصص في المشاريع الاستثمارية بمعامل إنتاج التكنولوجيا والكيماويات تعود ملكيتها إلى المستثمرين الأوروبيين والأمريكيين، أي إن معظم أرباح هذه الصناعات كانت تذهب مباشرة إليهم، وليس إلى الخزينة الصينية، مما أدى إلى هبوط سعر العملة الصينية «يوان».

فلم يكن أمام الحكومة الصينية سوى التضحية بصحة مواطنيها لوقت قصير؛ حيث أذاعت خبر انتشار وباء كورونا القاتل في البلاد، وأنها عاجزة عن شراء أقنعة الوقاية من هذا الوباء الفتاك. وكانت هذه بداية الحرب البيولوجية الصينية على أمريكا والعالم. هذه الشائعة المغرضة، التي روجتها الحكومة الصينية على لسان رئيسها شي جين بينغ، ترتب عليها انخفاض حاد في سعر شراء أسهم شركات صناعة التكنولوجيا في الصين.

وعليه، تسابق المستثمرون الأوروبيون والأمريكيون إلى طرح هذه الأسهم للبيع بأسعار مخفضة، وانتظرت الحكومة الصينية الوقت المناسب إلى أن وصلت الأسعار إلى شبه المجانية، وقامت بشرائها. وبهذه الطريقة تكون الحكومة الصينية قد أممت أغلب الشركات الأجنبية على أراضيها، دون أن تتسبب في أزمة سياسية أو إخلال باتفاقات دولية يوقع عليها عقوبات اقتصادية أو تعويضات مالية باهظة.

وبعدما حققت الحكومة الصينية مبتغاها، بدأت إخراج المصل المضاد لفيروس كورونا، الذي كانت تمتلكه من البداية لتأمين شعبها، واستطاعت معالجة المصابين، وفي وقت قصير أعلنت أن معدل الإصابة صفر إصابات.

وعليه، أعلن وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو أنه يملك الأدلة التي تؤكد أن فيروس كورونا جاء من مختبر بمدينة ووهان الصينية، كما اتهم الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الحكومة الصينية بتضليل العالم، لإخفائها معلومات عن كورونا.

إذًا، ماذا نستنتج من العرض السابق؟ نستنتج أن سمة حروب الجيل السادس المتطورة هي استخدام المعلومات المغرضة والأوبئة والفيروسات لإسقاط الدول المعادية وتحقيق مطامع اقتصادية أو سياسية، بأقل تكلفة وفي أسرع وقت. ومن هنا يمكن القول إن حروب الجيل الأول حتى الثالث تقليدية، وما يأتي بعد ذلك حروب متطورة تبدأ من الجيل الرابع حتى السادس، وتُستخدم فيها المعلومات والشائعات بشكل أساسي.

المنطقة العربية وحرب الشائعات:

نشرت مجلة «جون أفريك» الفرنسية تقريرًا خاصًا بعنوان «حرب المعلومات في عصر ما بعد الحقيقة في العالم العربي»، أشار إلى أن الحرب الحقيقية الآن هي حرب المعلومات، التي تُعتبر أداة لمواصلة الصراع التقليدي، أي الحروب المسلحة، بالمعلومات المفبركة أو الشائعات، والتي أصبحت واقعًا يتغلغل في العلاقات بين الدول، وظاهرة تتصاعد حدتها في بلادنا العربية.

وفي إطار التقرير، أشارت المجلة إلى أنه في أوائل القرن الحادي والعشرين استُخدمت الشائعات أداة خبيثة لإحداث النزاعات في الشرق الأوسط. ويعرف المعجم الوسيط الشائعة بأنها تداول الخبر دون التحقق من مصادره أو مصداقيته. وقد أثبتت الدراسات أن 70% من قيمة المعلومة تسقط أثناء تداولها بين الأشخاص، وصولًا إلى الشخص الخامس أو السادس.

ويقول عباس شومان إن الشائعات قديمة قدم الإنسان، وقد ابتُلي بها الرسل والأنبياء. وللشائعات أغراض سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ودينية وغيرها، تروجها جماعات أو أحزاب داخل الدولة تكون معادية للنظام الحاكم، أو من خارج الدولة مع دول معادية.

إذًا، حروب الجيل السادس حرب معلوماتية ممنهجة، في صورة إشاعات مغرضة تنطلق من شبكات التواصل الاجتماعي، كونها الأكثر شعبية، وتجمع أكبر عدد من المستخدمين حول العالم. وأصبحت هذه الشبكات بيئة خصبة لنمو الشائعات وانتشارها.

ولما كانت الشبكات تعطي مستخدميها حرية التعبير عن آرائهم دون تقييد، فإنها تحمل المعلومات الحقيقية والمغلوطة التي تنتقل بين الآخرين بسرعة تفوق سرعة الضوء. وقد أثبتت الدراسات الأجنبية أن بعض المعلومات المقدمة عبر الشبكات الاجتماعية تفتقد الجودة والوضوح والحيادية، وتشوبها بعض التحيزات والانتماءات العرقية وعدم الشفافية؛ مما أدى إلى عزوف الأدباء والمفكرين وغيرهم عن التعامل معها، واعتبارها مصادر غير رسمية إذا كانت شخصية أو مجهولة المصدر.

ومن هنا ظهرت أزمة مصداقية المعلومات (Information Credibility Crisis)، كرد فعل للزيادة الهائلة في كمية المعلومات الإلكترونية المنشورة عبر هذه الشبكات. فالمشكلة ليست في المعلومات المغلوطة فقط، وإنما تمتد لتشمل المتلقين لهذه المعلومات، وخصوصًا محدودي الثقافة والتعليم، فهم ضحايا الشائعات.

وقد حذر الرئيس عبدالفتاح السيسي، في كلمته بحفل تخريج طلاب الكليات والمعاهد العسكرية، من خطر الشائعات المغرضة، مؤكدًا أنها قد تدمر الدولة من الداخل إن لم نعِها جيدًا ونتنبه إليها ونحد من انتشارها. وقد واجهت مصر خلال ثلاثة شهور 21 ألف إشاعة مغرضة تهدف إلى البلبلة وعدم الاستقرار وإثارة الذعر بين المواطنين.

أنواع المعلومات الزائفة عبر شبكات التواصل الاجتماعي:

يقول صبري البياتي في دراسته عن المعلوماتية وانعكاساتها السلبية إن المعلومات، بوصفها أسلوب إدارة، تحظى باهتمام المؤسسة العسكرية الأمريكية. وأُطلق على هذا الأسلوب «عقيدة المعلومات» (Information Doctrine)، أي إن المعلومات رصيد استراتيجي، وإن مجال المعلوماتية هو السبيل لفرض السيطرة على العالم في المستقبل. وهذا يدل على أن ترويج المعلومات الزائفة الهادفة سيكون أداة الحرب المستقبلية.

ويمكن تصنيف المعلومات الزائفة أو غير الموثوقة عبر شبكات التواصل الاجتماعي إلى نوعين رئيسين:

1. معلومات زائفة هادفة: ينشرها أصحابها وهم على يقين ودراية تامة بأنها عارية من الصحة، وعادة يكون لهم هدف وغرض محدد من نشرها. ومن أمثلتها ترويج شائعة عن نية الحكومة رفع سعر سلعة تموينية معينة، فيتسارع الجميع إلى جلب أكبر عدد ممكن منها لتخزينها، مما يؤدي إلى نقصها من السوق وارتفاع سعرها «الاحتكار».
2. معلومات غير موثوقة ناتجة من قلة الخبرة وعدم التحقق: وهو النوع الأكثر انتشارًا، ويُنشر بشكل عفوي غير مقصود بسبب التسرع في نشر المعلومة دون التحقق من مصادرها الأصلية، وأحيانًا بالمزايدة على المعلومات المقدمة من مصادرها.

كيف نتصدى لحرب المعلومات «الشائعات»:

أمرنا الله بتحري الدقة في الشائعة أو المعلومة، في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» [الحجرات: 6].

وإذا تحدثنا عن كيفية التصدي لمخاطر الصراع المعلوماتي عبر شبكات التواصل الاجتماعي، فإن ذلك يكون بتحري مصدر المعلومة، أي أن تصدر عن صفحة رسمية لجهة معلومة في الدولة، والاستدلال أو الربط بمصادر أخرى، كالصحف المحلية والدولية، وآراء المحللين السياسيين والاقتصاديين والخبراء التي تؤكد صدقها، والتحقق من ذكر حقوق الملكية الفكرية للمعلومة، سواء لشخص أو هيئة.

ويجب أن تكون المعلومة دقيقة ومكتملة وغير متناقضة مع عنوان الخبر المنشور. والمعلومة المقدمة في هيئة أرقام ومؤشرات يجب أن توثق بمصدر معروف، وألا تتعارض مع المتعارف عليه من عادات وتقاليد وقيم مجتمعية عربية.

كما يمكن الأخذ بآراء أهل العلم وذوي الخبرة في موثوقية المعلومة، التي يمكن قياسها بتحليل تعليقاتهم على المعلومة المنشورة. ويجب النظر إليها بتجرد، للحكم على ما إذا كانت تحمل وجهة نظر شخصية أو غير محايدة.

وتساعد المعرفة المسبقة لاتجاهات الفرد أو المؤسسة، الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها، على الحكم بصدق المعلومة أو كذبها. وأخيرًا، يجب أن نحد من مشاركة المعلومات مجهولة المصدر وغير الموثوقة ونشرها، حتى لا نكون سببًا في إيذاء الآخرين نفسيًا بإحداث الذعر والقلق من المستقبل.

أختتم هذا المقال، الذي كاد ألا ينتهي لأهمية موضوعه وتعدد جوانبه، بأننا نقع تحت نيران الجيل السادس من الحروب «الشائعات والأوبئة»، وعلينا التصدي لها، خاصة في المنطقة العربية التي أصبحت محط أنظار الغرب. ويعتمد التصدي لهذه الحرب بشكل كبير على ثقافة القارئ ومدى امتلاكه أدوات التحليل المنطقي إذا غاب مصدر المعلومة.

لذا يجب أن ننتقي لعقولنا المعلومات ذات القيمة المبنية على الحقائق والبراهين، ونبتعد كل البعد عن المجهولة التي تدمر العقل وتنهكه، وتحاول تغيير ثوابت الدين والعادات والتقاليد، وتسعى إلى التخريب والدمار.

المراجع:

- بدر معلول (2020). الجيل السادس للحروب: حرب الفيروسات.
- باسم فاضل (2016). حروب الجيل السادس وكارثة العالم الجديد.
- حسين موسى (2015). استراتيجية أمن المعلومات في ظل حروب الجيل السادس.
- شادي عبدالوهاب (2017). حروب الجيل السادس: التحولات الرئيسية في المواجهات العنيفة غير التقليدية في العالم. مجلة دراسات المستقبل، العدد الأول، نوفمبر 2017.
- Verma, B. V. Non Contact Warfare (NCW)-Managing Conflict in 21st Century.
- FitzGerald, M. C. (1994). The Russian military's strategy for sixth generation warfare. Orbis, 38(3), 457-477.